كلمة رئيس التحرير

رمضان يلدرم

تعدّ قضية "الهجرة واللجوء" من الإشكالات الشائكة والدقيقة التي تتعدى أهميتها الإطار المحلّي والإقليمّي؛ نظرًا لتشابكها مع المجتمع الدولي من جهة، وتأثيراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية المباشرة، فضلًا عن القضايا الحقوقية وما تشملها من مسائل الأمن والغذاء من جهة أخرى.

وتأخذ هذه القضية بين وقت وآخر أبعادًا كبيرة، وتشغل حيزًا مهمًّا من التناول، ويزداد ذلك في وقت الحروب والكوارث الطبيعية، والتقلبات السياسية، وما تخلفه من تدهور في الأوضاع الاقتصادية شرقًا وغربًا.

وقد شهدت ارتدادات الربيع العربي في السنوات الأخيرة تعاظم للهجرة، وأخذت في الظهور بقوة، إلى أن طفت على سطح الأحداث العالمية؛ نظرًا لموجات النزوح الكبيرة التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص، وأصبحت مسألة الهجرة على رأس القضايا المثارة عالميًّا، وعلى أجندة مهمّات منظمة الأمم المتحدة.

في العدد الجديد من مجلة رؤية تركية كان من المهمّ أن نتناول هذه القضية من زوايا عدة، ومن خلال معالجات مختلفة ومغايرة، بعد مرور أكثر من ثمانية أعوام من الربيع العربي وانعكاساته التي كانت بمثابة عامل مساعد في إبراز هذه الظاهرة على النحو والشكل الحاليّين.

وفيما يخص المشهد السياسي التركي لم تكن الهجرة وليدة تأسيس الجمهورية، بل لها جذور قديمة، تشكّلت نواتها الأولى وإرهاصاتها القديمة مع الدولة العثمانية؛ لذا كان لا بدّ من الانطلاق منها، حتى الوصول إلى الجمهورية التركية مع تحولاتها خلال العقود السابقة، من خلال ما قدمه الأكاديمي التركي سليمان سالم كسغين في بحثه: "ظاهرة الهجرة في الدولة العثمانية والجمهورية التركية وعواقبها".

ومن المعروف أن تاريخ الأتراك ارتبط إلى حدّ كبير بالهجرات، وعاشوا أزمنة عديدة بين التنقل والارتحال، وافترشوا مساحات شاسعة، وشكّلت جغرافيا "الأناضول" نقطة مركزية في خريطة هذه الهجرات، فارتحل الأتراك إلى هناك، واتخذوها موطنا لهم.

ومن مركزية تلك الجغرافيا نطلّ من شرفات الأناضول على عمق التحولات البنيوية التي طالتها ثقافيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا إلى أن صارت في تشكّلها الدولاتي، ابتداء من الإمبراطورية العثمانية إلى أن دخلت حيز الجمهورية، وخلال هذين الانتقالين تبرز ظاهرة الهجرة وتاريخها في تركيا الحديثة والمعاصرة، انطلاقًا من إرثها السابق، وهو ما يقدمه كسغين بتتبع دقيق وتحليل واف.

ومنذ تولّي حزب العدالة والتنمية قاطرة المشهد السياسي مع مطلع 2002 حدثت جملة من التحولات المهمّة التي عكست بظلالها على ملفّات عدة، أبرزها ملف الهجرة، وفي ذلك يقدّم الباحث في مركز ستا إبراهيم أفه بحثه: "سياسة الهجرة التركية: فترة حزب العدالة والتنمية"، في سعي منه للوقوف على سياسة تركيا تجاه الهجرة في وجود الحزب، محدّدًا الفترة التي تلت الهجرة السورية إلى تركيا عقب الربيع العربي.

ومن أفه إلى الباحثتين مبرّة نور أمين ومؤمنة بركجين وبحثهما: "سياسات حزب العدالة والتنمية حيال الأطفال السوريين: إنقاذ جيل من الضياع". أفادت الباحثتان أن تركيا نجحت إلى حدّ كبير في إدارة هذا الملف باحترافية عالية، وأرجعتا ذلك إلى الرؤية السياسية الخارجية للعدالة والتنمية، وذلك من خلال استضافتها أكثر من ثلاثة ملايين وخمس مئة ألف سوري منذ عام 2011، وما قدمته لهم

من الخدمات الشاملة التي تتعلق بالسكن والعمل والصحّة، وبخاصة التعليم.

وأشارت الباحثتان إلى أن التعليم كان بمثابة نقطة فاعلة في محاولة التكييف المجتمعي، وذلك من خلال فتح نوافذ مختلفة يطلّ من خلالها المهاجر السوري على المجتمع التركي، استنادًا إلى محور التعليم، حيث تدفق الكثير منهم نحو تعلّم اللغة، ثم الالتحاق بالمدارس المتوسطة والثانوية، ثم بالجامعات، واشتدت عناية الدولة التركية بأجيال الأطفال والشباب، في محاولة تعليمهم؛ لينجوا بأنفسهم من تداعيات الحرب السورية، ولينصهروا في البنى المجتمعية التركية عبر خطة طويلة الأمد.

ثم ننطلق إلى نقطة مهمّة في ديناميكيات الهجرة، تتمثل في الانسجام المجتمعي للمهاجرين، ومدى قدرتهم على تحقيق ذلك الانسجام. وهنا يبرز دور الدولة التركية حيال ذلك، من خلال الاطّلاع على أدواتها وآلياتها؛ من أجل إزالة جدران العزلة التي تتكرر في نماذج دولاتية أخرى، في الشرق والغرب على حد سواء.

واتكاءً على تلك المسألة المهمّة تناول كلّ من إيبك جوشكن وأوزلم كوج في دراستهما: "المهاجرون قسرًا والانسجام الاجتماعي في تركيا" الأدوار التي قامت بها الدولة التركية لتفعيل ذلك الانسجام، وقد استطاع الباحثان إبراز نقاط في غاية الأهمية والخطورة في آن واحد؛ من خلال تقديم دور المحلّيّات والبلديّات في إيجاد الآليات الناجزة لتفعيل الانسجام المجتمعي عن طريق توفير حاجيات المهاجر، من أجل تبديد المخاوف التي تعتصره نتيجة هجرته القسرية تلك.

وتبعًا لوجود المهاجرين وتحركاتهم في الفضاء المجتمعي، ومع محاولة التماهي معه والاستفادة منه في ذات الوقت، وحجم التأثير فيه- تنشأ حركة الاقتصاد بوصفها نتاجًا لديناميكية الحياة اليومية التي تستلزم إنتاج نشاط جديد بهذا الوجود، وتدفع نحو التفاعل الإيجابي مع المجتمع الجديد المهاجر إليه؛ حتى لا يبقى المهاجر عبئًا كبيرًا على هذا البلد المهاجر إليه ،وبذلك يحسّن صورته داخليًّا، فيرتقي ماديًّا ونفسيًّا في محاولة للخروج من أزمات الهجرة وتداعياتها السلبية، ومن هنا تأتي أهمية رصد اقتصاد الهجرة وتحليله.

في هذا الإطار يتناول الكاتب نور الله غور في بحثه: "اقتصاد الهجرة الدولي في ضوء الخبرات المحلية" هذا البعد المهمّ في مسألة الهجرة، من خلال دراسة تأثير الهجرة الدولية في اقتصاد الدولة المضيفة، عن طريق رصد المجالات الحيوية، مثل النموّ وسوق العمل، التي تتيح خلق فضاء واسع تدور داخله مجالات سوق العمل، ثمّ تدور عجلة اقتصاد الهجرة، إن جاز الوصف.

وننتقل إلى إضافة أخرى في ملف الهجرة، حيث قدمت الباحثة زليخة صاغلم في دراسة جادّة أبعادًا مهمّة في مضامينها التحليلية، وتسهم بشكل كبير في فهم ظاهرة الهجرة بتنويعاتها المختلفة، مع كيفية التعاطي معها؛ نظرًا لواقع الخبرة والمعايشة الدقيقة لمخرجات هذا التحليل.

تناولت دراستها "تأثير المنظمات الأهلية في مؤسسات اللاجئين في السياسات الاجتماعية"، وبيّنت أن الإسهام الأكبر في صنع السياسات الاجتماعية يمكن أن يكون من خلال وسائل عدة، وآليات متنوعة، على رأسها توفير الدعم للأفراد والمجموعات المحرومة، فضلًا عن التغلّب على المشكلات الاجتماعية والثقافية والبيئية، من توفير الخدمات الدينية والصحية والسياسية وغيرها.

والهجرة السورية إلى تركيا ليست الوحيدة، فقد سبقتها هجرات آخرى، منها مثلًا هجرة العراقيين بعد الغزو الأمريكي للعراق سنة 2003، وقبلها هاجر الكثير من الأفغان بعد الاحتلال الأمريكي لبلدهم في سنة 2001، وهذا جعل تركيا بيئة مهمّة لدراسة ظاهرة الهجرة، وأصبح لديها ما يؤهّلها بأن تنتج موادّ تحليلية مهمّة تفيد المهتمّين بهذه الظاهرة في المجتمع الدولي، وهو ما أهّل لتركيا أن تسهم بنصيب كبير في إدارة هذا الملف إقليميًّا ودوليًّا.

ولا شكّ أنّ موجات اللاجئين السوريين في تركيا أصبحت مثار نقاش كبير في الداخل

والخارج؛ نظرًا لطبيعة التحولات القائمة في الإقليم، وما تبعها من تداعيات سياسية واقتصادية واجتماعية وإنسانية.

وفي بانوراما شاملة حول اللاجئين السوريين في تركيا يقدّم الباحث محمود قايا مسارات الهجرة السورية نحو تركيا، وجغرافيا انتشارهم وتمركزاتهم التي أضحوا عليها، وتجاربهم التي يعيشونها في هذه المناطق، وإسهاماتهم في الاقتصاد التركي، وهذا يمنح مساحات من المعرفة بأنشطة السوريين، بصفتها فواعل سياسية واقتصادية واجتماعية في الدخل التركي.

ومن السياسة والاقتصاد إلى الصحّة النفسية للمهاجرين، حيث تناول هذا الملفّ المهمّ الكاتب وسام حمزة محاسنة في بحثه: "الصحّة النفسية للسوريين داخل سوريا وخارجها".

سعى محاسنة في بحثه إلى تسليط الضوء على الأوضاع الصحية النفسية للسوريين داخل سوريا وخارجها، مع التركيز على المهاجرين منهم في الداخل التركي، فضلًا عن مقارنة بين فترتي ما قبل الحرب والفترة القائمة، مع تقديم طائفة من المعلومات حول الخدمات الصحية النفسية التي قدّمت لهم خلال الفترتين.

ثم ننتقل إلى مسألة أخيرة في تناول ظاهرة المهاجرين السوريين، تعدّ من العوامل المهمّة في انعكاسات تلك الهجرة، هذه الظاهرة هي البعد الثقافي، وما يتعلق به من قضايا تتعلق بالتأثير والتأثّر والتكيّف مع الواقع المجتمعي والثقافي المحيط بهم.

أمّا زينب صاغير فقد قسّمت بحثها: "تقييم عمليات التكيف الثقافي للمرأة السورية في تركيا: تشابه وفروق" ثلاثة أقسام: أولها مقدّمة في النظرية الثقافية، تناولت صاغير في هذا القسم التأسيس النظري لاتجاهات التحول الثقافي لكيان المحليين والمهاجرين، وقدّمت فيه تحليلات تقدّم للمرة الأولى في هذا المجال، ولاسيّما أنها تتناول ظاهرة هي الأولى من نوعها في الفضاء الثقافي والمعرفي المختلط والمشترك بين الأتراك والعرب، وبخاصة العنصر النسوي السوري، ثم انتقلت إلى القسم الثاني حيث قدّمت معلومات مهمّة وإحصائيات مقاربة عن الهجرة القسرية بدءًا من عام 2017، وتداعياتها وانعكاساتها على الواقع المجتمعي الثقافي النسوي، واختتمت بحثها بالقسم الثالث الذي قدّمت فيه نتائجها عن رسالتها للدكتوراه حول التكيف الثقافي للمرأة السورية.

وفي مقارنة عملية تبرز خلالها الجهد التركي الكبير في التعامل مع قضية الهجرة، وبخاصة موجات هجرة السوريين- تناولت أمل طوبجو في بحثها "إجراءات استقبال السوريين في تركيا وألمانيا: تحليل مقارن" الإجراءات والآليات التي اتبعتهما الدولتان في تعاملهما مع الهجرة السورية، من خلال استقبالهم، وترتيب أوضاعهم في الداخل؛ أي بلد المهجر، وانعكاسات هذه الإجراءات على سكان البلدين.

ويمكن فهم هذه البحث على أنّه يتجاوز فكرة تقديم أيّ الخيارات كان أفضل لدى المهاجر السوري، إذ يسعى إلى بيان واقع الاستيعاب الحقيقي والجادّ من قبلهما، مع بيان مسألة الهجرة وانعكاسها على البلدين، وردود أفعال الشعبين حيالها.

ومن تركيا إلى منطقة الشرق الأوسط، حيث يتناول الباحثان محمد شطب العبيدان في بحثه: "أزمة اللاجئين في الأردن والسعودية " ومثنى العبيدي في بحثه: "مشكلة الهجرة واللجوء في المنطقة العربية في ظل الأزمات الراهنة"- أبعادًا مهمّة عن مسألة الهجرة التي نتجت عقب ارتدادات الربيع العربي، وبخاصة هجرة السوريين.

ونختتم بحوث العدد بدراسة الباحثة الأردنية رنا الخماش: "حركة الإخوان المسلمين في الأردن بعد أحداث الربيع العربي: الواقع والآفاق".